

قراءة في واقع الفضائيات العربية وانعكاساته على المحتوى الإعلامي

Reading in the reality of Arab satellite channels and its implications for media content

أ. غنية جمال

جامعة باجي مختار - عنابة (الجزائر)، ghania_djamel@yahoo.fr

تاريخ الإستلام: 2022 / 07 / 27 تاريخ القبول: 2023 / 03 / 26 تاريخ النشر: 2023 / 04 / 30

ملخص:

لقد عرف المشهد الإعلامي العربي تحولات هامة وتطورا نوعيا وكميا بعد ظهور مئات القنوات التلفزيونية الفضائية ، بفضل عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية ، وقد تميز الواقع الإعلامي الجديد بسمات ، أهمها التفوق العددي للقنوات الخاصة مقارنة بالقنوات العمومية بعد التغير النسبي في موقف السلطة من الملكية الخاصة ، وظهور القنوات المتخصصة . لكن التنامي في عدد القنوات لم يثمر تطورا في المحتوى وتنمية في الإنتاج الإعلامي بالمستوى المنشود ، فواجه الكثير من الانتقادات وغلب عليه الطابع الترفيهي والمحتوى الأجنبي أو المقلد على حساب المحتوى التربوي والثقافي الذي يغذي وعي المواطن ، لذلك يهدف هذا المقال بيان أهم ما ميز واقع الفضائي العربي وتأثيره على إنتاج المحتوى الإعلامي .

الكلمات المفتاحية: البث الفضائي : الفضائيات العربية : المحتوى الإعلامي

Abstract:

The Arab media landscape has undergone significant qualitative and quantitative transformations following the emergence of hundreds of satellite television channels , thanks to political , social , economic and technological factors . The new media reality has been characterized by features , the most important of which the numerical superiority of private channels compared to public channels after the relative change in the position of the authority on private ownership and the emergence of specialized channels , however , the growth in the number of channels did not result in a development in content and development in media production to the desired level , so it faced a lot of criticism and was dominated by the entertainment character and foreign or imitative content at the expense of educational and cultural content that feeds awareness of the citizen , so this article aims to show the most important characteristics of the reality of Arab satellite broadcasting and its impact on the production of media content .

Keywords: Satellite broadcasting ; Arab satellite channels ; Media content

١. مقدمة

من الصعب تجاهل التحولات الكمية والنوعية التي شهدتها الإعلام العربي بفضل ظهور القنوات الفضائية ، كنتيجة طبيعية للثورة التقنية التي ألغت الحدود الجغرافية وسمحت بدخول البث الفضائي الدولي إلى المنطقة العربية ، الذي جاء في أغلبه لتغطية الحرب على العراق و الترويج لسردية غربية مضللة عن الأحداث الدائرة على أرض المعركة . أمام هذا المشهد المربك ، و أمام العجز عن الوصول إلى مصادر الخبر و جهل ما يحدث هناك ، لجأ الإعلام العربي إلى التحليل و التخمين و التنبؤ . واقع مهد لظهور القنوات الإخبارية الخليجية ، وفي عام 2004 سجلت منطقة الخليج و العراق ميلاد عدد كبير من الفضائيات . وعلى صعيد آخر سمح التغير النسبي في مواقف الدول العربية من الملكية الخاصة لوسائل الإعلام بظهور المزيد من القنوات الفضائية الخاصة إلى جانب القنوات التابعة للدولة ، على الرغم من حالة القلق و الخوف من الظاهرة الجديدة . أما على مستوى الجماهيري فإن الدراسات والبحوث تؤكد على الإقبال الواسع للجماهير العربية على مشاهد القنوات الفضائية ومتابعة برامجها ، مثلما تؤكد على أهمية التأثير الذي تمارسه على المتلقي العربي . ثم ظهرت القنوات المتخصصة التي تنتمي في معظمها للقطاع الخاص . و دار تنافس شديد بين مخلف القنوات على جذب الجمهور لأهداف فكرية وتجارية ، بتقديم مضامين متنوعة تحقق لها نسب المشاهدة المطلوبة ، و فتحت نقاشات حول قضايا تخص الشأن العام ، و تسابقت أخرى نحو إثارة مواضيع كانت تعد في العهد القريب من المحرمات ، لكنها أيضا اندفعت إلى تقديم مواد الترفيه و التسلية و تقليد برامج المحطات العالمية .

وفي ظل التفوق العددي والنوعي للقنوات لخاصة نتساءل ما إذا استطاعت أن تقدم نموذجا مغايرا عن الإعلام الرسمي ؟ هذا الإعلام الذي جعل غايته الأساسية هي التعبير عن سياسات ا لحلثومات ومصالحها المختلفة ، مع تجاهل تام لاحتياجات المواطن العربي وانشغالاته اليومية ، و هل يمتلك أصحاب القنوات الخاصة إستراتيجية إعلامية وطنية واضحة ؟ والإجابة قد تكمن في البحث عن حقيقة من يمول هذه القنوات ودرجة استقلالية هذا التمويل عن سيطرة القوى السياسية والاقتصادية وتأثيراتها ، وأيضا في البحث عن الغاية وراء الاندفاع القوي للقطاع الخاص لدخول ميدان إطلاق الفضائيات ، حيث تمتاز فيه الأهداف الربحية بالأهداف السياسية والسعي وراء النفوذ و الشهرة .

لقد نشأت المحطات التلفزيونية الفضائية العربية نتيجة العوامل السابقة بشكل عشوائي وسريع ، و مارست عملها في غياب القوانين والتشريعات التي من شأنها أن تنضم عملها بما يتوافق مع التطورات التكنولوجية السريعة والأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عرفت نوعا من الركود الطويل ، وكذلك في غياب اتفاق بين أهل المهنة على ميثاق شرف إعلامي عربي جامع بعيدا عن الحسابات القطرية الضيقة . و مع تزايد عدد القنوات الفضائية تزايد الحديث عن ضرورة ضبط البث الفضائي العربي ، و مع محاولات إيجاد الأطر القانوني المنظمة لعمل القنوات ظهرت العديد من التحديات ، تبدأ بمدى جدية الدول العربية وقدرتها على ضبط البث الفضائي العربي الذي يعرف انفلاتا واضحا ، و بقاء قسم كبير من الفضائيات خارج دائرة المساءلة ، و بالتأكيد لا تنتهي بصعوبة إيجاد آليات مراقبة قادرة على متابعة المحتوى الإعلامي الذي تقدمه . هذا المحتوى الذي يبدو أنه لا زال بعيدا عن إمكانية إنتاج ثقافة عربية مشتركة طالما لا تزال القنوات الفضائية العربية تعتمد في برامجها على المحاكاة والتقليد .

ولا يعني ضبط البث الفضائي تقييد الحرية الإعلامية إذ أن هذا المفهوم لم يعد قائما أو مقبولا مع التقدم السريع والكبير الذي تعرفه تكنولوجيا الاتصال والإعلام والتغيرات السياسية الواقعة محليا و عالميا . ومع أن فكرة ضبط الإعلام ليست جديدة لكنها ما زالت تمثل تحديا لمختلف دول العالم . خاصة أن البث الإعلامي

الحالي وبفضل التكنولوجيا الحديثة بات قادرا على تجاوز واختراق كل الحدود الجغرافية والسياسية و بالتالي اختراق طوق الحماية التنظيمية . وللأسف فإن الدول العربية تفتقر لنظام موحد لتنظيم البث الإعلامي .

ومع تزايد عدد القنوات الفضائية تزايدت الحاجة إلى إنتاج وتقديم برامج ومضامين تستجيب لاحتياجات الجمهور العربي الموجود على مساحة جغرافية واسعة في واقع متغير ، وأيضا الاستجابة لمتطلبات السوق

لذلك يهدف هذا المقال إلى التعرف على بعض الملامح الذي بات تميز واقع البث القضائي العربي، هذا الواقع الذي تعرض لكثير من الانتقادات على الرغم من الأهمية القصوى لظهور القنوات الفضائية ، في وقت زادت فيه تأثيرات القنوات الأجنبية التي دخلت بقوة إلى المنطقة العربية ، وأيضا محاولة الوقوف على انعكاسات هذا الواقع على المحتوى الإعلامي الذي تقدمه القنوات الفضائية العربية .

أولا: ظهور الفضائيات العربية والتحول الجديد في المشهد الإعلامي العربي

يعد ظهور القنوات الفضائية نقطة تحول هامة ومنعطف حاسما في تاريخ الإعلام العربي ، وفي إعادة تشكيل صورته وإفراز واقع جديد بالنظر للتغيرات المختلفة التي ترتبت عن هذا الظهور والتي طالت بنية الإعلام العربي وخطابه .

ولقد صاحب هذه التغيرات التي شهدها الإعلام العربي حالة من التفاؤل حول دور الإعلام في استنهاض الواقع العربي والعمل على إطلاق حرية الرأي والتعبير ، وترسيخ ثقافة التعددية والحوار عن طريق العمل على الحد من تدخل السلطة في الإعلام ، والاستفادة من الإمكانيات التقنية الحديثة المتوفرة لتحسين وتطوير القدرات المهنية .ومن المؤشرات الدالة على أهمية ظهور القنوات الفضائية وانعكاساتها على واقع الإعلام العربي - وفق ما رصدته العديد من البحوث ولدراسات - نذكر منها ما يلي :

- أن أغلب القنوات الفضائية التي ظهرت في الساحة الإعلامية العربية ، هي قنوات خاصة ولذلك فقد قدمت نفسها كبديل للإعلام الرسمي الذي فقد الكثير من مصداقيته لدى المشاهد العربي حيث استطاعت استقطاب أعداد كبيرة من الجمهور العربي .

- بفضل بعض القنوات الإخبارية لعب الإعلام العربي دورا في مجال نقل الأخبار للمشاهد العربي برؤيا تختلف عن تلك التي كان الإعلام الغربي يسوقها ، وأسهمت في وضع الإعلام العربي في دائرة الاهتمام العالمية ، وأبرز حدث قام الإعلام العربي بتغطيته ومثل انعطافة مهمة في مساره كان حرب العراق الثانية ، ولأول مرة أصبحت الفضائيات العربية تعمل بشكل مستقل عن المصادر العالمية الإخبارية ، وصار لها مراسلون ينقلون أحداث الحرب من أرض المعركة عوضا عن نقلها من مصدر خارجي ، وصار بإمكان المواطن العربي مشاهدة المعارك الدائرة في المنطقة العربية . وولدت هذه التغطيات الفورية التي قدمت منظورا مختلفا عن الرواية الأمريكية ردود فعل فائقة الأهمية . وبهذا أصبحت الفضائيات العربية مصدرا مهما للأخبار عربيا وعالميا . (مظفر ، عزي وآخرون ، 2008)

- إن دخول الإعلام العربي إلى مجال البث الفضائي ، قد دفع بالعاملين في هذا القطاع إلى تبني طرق معالجة مغايرة تنسجم أكثر مع متطلبات المرحلة وإلى توظيف تقنيات جديدة ، وتوظيف مفردات تم

انتقاءها بعناية بعيد عن مصطلحات الآخر لترسخ خطابا إعلاميا من نوع جديد ، يعبر عن نبض الشارع العربي ويجمع كل العرب من المحيط إلى الخليج . (حسن مظفر ، عبد الرحمان عزي وآخرون ، 2008)

- شكلت التجربة الجديدة التي يخوضها الإعلام العربي في ظل ازدياد حرية التعبير فضاء مهما للرأي العام العربي ، ذلك أن >> الآراء التي تطرح في أي قناة فضائية عربية تطرح ويتعرض لها المواطنون العرب على امتداد العالم العربي وخارجه وهذا الرأي العام العربي ، مستقل تماما عن تأثير الحكومات العربية >> (الجمال ، 2006)

- كان من نتائج ظهور وتزايد عدد القنوات الفضائية ، زيادة في عدد القنوات الخاصة التي فتحت نقاشات حول قضايا جوهرية سياسية أو ذات الطابع العام وتسابقت القنوات التجارية في طرح المواضيع التي تصنف في خانة المحرمات أو الطابوهات .

أما عن الأسباب التي أدت إلى حدوث القفزة النوعية في الأداء الإعلامي الفضائي العربي فمتعددة ، من أهمها :

أ . انفتاح الاتصال بين الدول في مختلف مناطق العالم بفعل العولمة والتقدم التقني ، الذي أنهى القيود المفروضة على الإعلام القادم من الآخر ،

ب . تحكم وكالات الأنباء العالمية في مصادر الأخبار والمعلومات ، والسيطرة على تدفقها ، وفي طريقة تفسير الأحداث المتحيزة .

ج ، زيادة الطلب على الأخبار من قبل المشاهد العربي ، والحاجة لتغطية إعلامية تنطلق من منظور عربي.

د . الإمكانيات المالية والتقنية التي أتاحت للفضائيات العربية الخليجية ، وتنامي الشعور بعدائية القنوات الفضائية الغربية نحو المنطقة العربية وقضاياها .

ثانيا : أهم السمات المميزة للبث الفضائي العربي

انطلاقا من التقارير السنوية التي يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية حول الإعلام العربي ، والدراسات التي تناولت موضوع الفضائيات العربية فإن المشهد الإعلامي العربي الجديد أصبح يتسم بعدة سمات يمكن إجمالها في ما يلي :

1 . الزيادة الكبيرة والمتسارعة في عدد القنوات الفضائية :

زيادة وصفت بالانفجار والطفرة الإعلامية . مع ظهور مهم للقنوات الخاصة وقد تنوعت هذه القنوات من حيث ملكيتها بين الحكومية (أو العمومية) والخاصة ، وتشير الأرقام والإحصاءات إلى تفوق القنوات الخاصة من حيث عددها على القنوات العمومية .

ففي سنة 2003 م مثلاً نجد أن عدد القنوات الفضائية قد بلغ 50 قناة موزعة بين المنوعات والأخبار ، وفي عام 2005 م تم إنشاء المزيد من القنوات بلغت 75 قناة جديدة ليصل العدد سنة 2008 م إلى 482 قناة وفي عام 2009 م وصل العدد إلى 520 قناة . (القادري عيسى ، 2008) ، وفي سنة 2015 م أحصى اتحاد إذاعات الدول العربية 1200 قناة فضائية عربية ، يمثل الإعلام العمومي فيها نسبة لا تتجاوز 10 بالمئة و

[illegible]

$\bar{g}_n = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n g_i$, $\bar{g}_n = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n g_i$, $\bar{g}_n = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n g_i$

2. ظهور القنوات المتخصصة :

و يبدو أن القنوات الفضائية العربية المتخصصة قد استطاعت تقديم مضامين متنوعة ومتعددة تكاد >>... تتفوق تنوعا وتعددا مجمل ما يبث في القنوات الحكومية التقليدية ذات البرمجة العامة وفي بعض الآخر من القنوات الخاصة التي تماثل القنوات الحكومية أو تشبهها <<. (مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث كوتر، 2008). كما تتفوق القنوات الفضائية المتخصصة من حيث عددها على القنوات الجامعة.

أما بخصوص أصناف التخصص ، فنشر اتحاد إذاعات الدول العربية على موقعه أن هناك 252 قناة جامعة لا يسيطر أي صنف من الاختصاصات على برمجتها، في حين أن عدد قنوات الدراما قد بلغ 150 و 133 قناة إخبارية بأعلى نسبة في مجموع القنوات المتخصصة في البث الفضائي العربي. ، كما أن القنوات الدينية تستأثر بالمرتبة الرابعة من مجموع القنوات المتخصصة بما يناهز 130 قناة. أما القنوات الرياضية فيصل عددها إلى 92 قناة، والقنوات التعليمية 43 قناة، (اتحاد إذاعات الدول العربية ، 2022).

يضاف إلى هذه الأنواع قنوات الأطفال والقنوات الترويجية ، وقنوات الألعاب والمسابقات والقنوات الاقتصادية والثقافية التي تمثل أضعف نسبة وغيرها من القنوات .

ثالثا : قراءة نقدية في واقع الفضائيات العربية

يبدو أننا اليوم أمام واقع إعلامي عربي جديد ، تحددت ملامحه مع انطلاق نظام البث الفضائي الذي مافئ يشهد تطورات سريعة ، ورغم آثاره الإيجابية ، وحالة التفاؤل بأهمية القنوات الفضائية في إحداث عملية التغيير الاجتماعي في العالم العربي ، وتوفير مناخ ملائم لتطوير المجتمع ، فإن هذه التجربة لا تخلو من الانتقادات والتحفظات ، التي تحيلنا نحو مراجعة جوانب النقص والخلل التي تعاني منها.

لكن وقبل الحديث عن هذه الجوانب من المهم التأكيد على أن البيئة التي احتضنت وتحتضن هذه التجربة تنطوي على كثير من التحديات والعوائق . وترتبط أولى التحديات بحقل الإعلام نفسه وبالعاملين فيه من جهة وبالبيئة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات العربية التي يمارس فيها الإعلام وظيفته من جهة أخرى . فمثلا لا يمكن الحديث عن إعلام حر وممارسة إعلامية تتمتع بمستوى عال من المصادقية والجرأة والحرية في مناقشة شتى الموضوعات دون الحديث عن الوضع السياسي القائم وسقف الحريات الممنوحة للمواطن ، والقوانين والتشريعات التي تضمن هذه الحقوق ، وتضمن أيضا الحق في الإعلام وحرية التعبير انطلاقا من إقرار مبدأ يعبر عن استقلالية حقيقية لوسائل الإعلام ، بعيدا عن ضغوطات السلطة أو أي ضغوطات أخرى .

كما لا يمكن إغفال الإشارة إلى سطوة المصالح التجارية التي يزداد نفوذها يوما بعد يوم مع ازدياد اهتمام المستثمرين وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة بقطاع الإعلام ، بعد أن كانت الأموال توجه للاستثمار في قطاعات أخرى .

إن المؤسسات الإعلامية العربية والقنوات الفضائية على وجه التحديد أمام تحد هائل ، يتمثل في تقديم محتوى إعلامي يرضي شرائح واسعة من الجمهور العربي الموزع على خريطة جغرافية كبيرة ، وتلبية احتياجاته المتعددة والمختلفة مع مراعاة اختلاف أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية . وفي نفس الوقت هي مطالبة بمواجهة إعلام غربي متفوق من حيث الإمكانيات المادية والتقنية ، وعمق وامتداد التجربة و الممارسة الإعلامية .

وزيادة على ما سبق ذكره لا يجب أن ننسى حداثة تجربة الإعلام الفضائي العربي ، الذي لازال يفتقر إلى كثير من المقومات على مستوى الممارسة المهنية التي تحتاج إلى ضوابط أخلاقية ومهنية تضمن حدودا مقبولة من المصدقية في ظل واقع متغير وأحداث متسارعة ، على أن تنبع هذه الضوابط من داخل التجربة الإعلامية العربية ذاتها .

1 . فوضى البث الفضائي العربي :

يجمع عدد غير قليل من الباحثين أن البث الفضائي العربي يعرف حالة من الفوضى بسبب التزايد المستمر في عدد القنوات الفضائية ، مع غياب قوانين وتشريعات قادرة على ضبط هذه العملية وتنظيمها ، من أجل ضمان >>.. التوازن بين الحق في ملكية القنوات التلفزيونية وحقوق الأشخاص الأساسية ومتطلبات المجتمع < (لعباضي ، 2013) . كما أن الكم الهائل من القنوات الفضائية لا يعني بالضرورة أنه يلبي الاحتياجات الحقيقية للمشاهد العربي . و غياب ضبط وتنظيم المحتوى >>... من قبل الحكومات والهيئات الوصية سيؤدي إلى قصور في مهمتها و خدمتها للصالح العام >> (بعزيز ، 2013 ، ص 22) . ويدعم مطلب ضبط البث الإعلامي منطقان :

الأول تكنولوجي ويرتبط بموجات البث .

والثاني اجتماعي سياسي ويشير إلى القيم السائدة في مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم . (مريم خاطر ، 2010) .

هذا الوضع دفع بالدول العربية للقيام بعدة لقاءات ومبادرات من أجل تنظيم البث الفضائي العربي ، بعضها كان تحت رعاية جامعة الدول العربية، نذكر منها لقاء وزراء الإعلام العرب الذي عقد بمقر الجامعة بتاريخ 12 فبراير 2008 ، نتج عنه اعتماد وثيقة ((مبادئ تنظيم البث والانتقال الفضائي الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية)) ، والندوة التي نظمها اتحاد إذاعات الدول العربية في 16 أبريل 2013 بعمان (الأردن) حول ((تنظيم البث الفضائي العربي ومدى الحاجة إلى تشريعات في هذا المجال)) (بعزيز ، 2013) .

لكن على الرغم من المساعي العربية لوضع قوانين وتشريعات لتنظيم عملية البث فإنها بقيت بعيدة عن المأمول ، لصعوبة العملية نفسها فضلا عن إيجاد آليات لتطبيقها في ظل تطور تكنولوجي كبير ، و غياب إرادة عربية حقيقية أو اتفاق حول هذه المسألة وعدم التزام الدول بما يصدر عن المبادرات والاتفاقات ، يضاف إلى ذلك قلة الوعي بخطورة وأهمية البث الفضائي ، والولاءات الأيديولوجية والسياسية للفضائيات العربية ، وسعي بعضها الملح نحو السبق الصحفي والإثارة . (بعزيز ، 2013) .

وقد نتج عن غياب هذه القوانين والتشريعات وفوضى البث الفضائي ما يلي :

- تراجع عدد القنوات العمومية في مقابل القنوات الفضائية الخاصة ، حيث تشير إحصاءات 2015 الصادرة عن اتحاد إذاعات الدول العربية (التقرير السنوي ، 2015) أنه يوجد ما لا يقل عن 1230 قناة تلفزيونية في السماء العربية ، 1097 قناة خاصة بينما لا يتجاوز عدد القنوات العمومية 133 قناة . وأكثر القنوات الرسمية انتشاراً حسب الاختصاص ، هي قنوات المنوعات الشاملة وعددها نحو 56 قناة ، ثم القنوات الرياضية وعددها 33 قناة، والقنوات التعليمية بالإضافة إلى القنوات الإخبارية والدينية .

إن حالة عدم التوازن بين الإعلام العمومي والخاص تشير إلى مشكلة هامة وهي تراجع رسالة الإعلام العمومية في >> فضاء اتصالي يطغى عليه بصفة متصاعدة منطق التجارة والربحية و يعم فيه قنوات متعددة المشارب >> (الحديدي و اللبان ، 2009) . . ويعزز هذه المشكلة حرص القنوات الخاصة على امتلاك تكنولوجيا حديثة وكوادر إعلامية ، وسعها لاستقطاب كبار الإعلاميين ، وهذا ما لا نراه في القنوات العمومية . كما أن القنوات الخاصة تهتم بالتسويق لبرامجها بش تى الطرق والأساليب التي تع طمها طابعها الخ اص و المتميز . وبهذا تظهر الفروق واضحة بين الإعلام العمومي والخاص .

- تحكم المصالح السياسية والتجارية الكبرى اليوم في مفاصل البث الفائي العربي ولأجل تحقيق غاياتها فقد فضلت بقاء حالة التسبب والانفلات بغض النظر عن المخاطر التي قد تنجم عن هذا الانفلات . (التقرير السنوي ، 2015)

- في ظل غياب أي تنظيم أخلاقي أو مهني للإعلام العربي الفضائي ظهرت العديد من القنوات التي تقدم مضمونا ضعيفا لا يرتقي بفكر ووعي المشاهد العربي ، مضمونا يغ ذى الجهل ويحرض على الطائفية و الكراهية ويعرض أمن الدول العربية لأخطار جمة . (التقرير السنوي ، 2015) و كل ما سبق يؤكد على الحاجة الملحة لوجود قوانين لتنظيم البث العربي ، وضرورة وجود ميثاق عربي لأخلاقيات المهنة .

2. ضعف المحتوى الإعلامي :

و يمتظهر هذا الضعف نتيجة الظروف السابقة الذكر في الآتي :

أ . غلبة الطابع الترفيهي على برامج الفضائيات العربية عموما والخاصة على وجه التحديد ، حيث أقبلت على إنتاج برامج ترفيهية أو تقليد أخرى أجنبية ، مدفوعة بأغراض المنافسة على كسب الجمهور المتلقي . ويدخل ضمن البرامج الترفيهية المسلسلات التي بعرض أكثر من مرة وفي أكثر من محطة ويشكل مبالغ فيه أحيانا ، والأفلام والأغاني وبرامج الألعاب والمسابقات وغيرها . حيث تعد ظاهرة سيطرة الترفيه على مضامين التلفزيونات من أهم المشكلات التي تواجه الثقافة الجماهيرية ، بسبب مستواها المبتذل والسطحي ، لأنه يقود في النهاية إلى الحد من الخيال والإبداع بدل إثارته وإلى إفقار وتجويف الحياة الثقافية . (أبو أصبع ، 2006) . فالترفيه لابد أن يكون مفيدا وبعيدا عن الابتذال والإساءة . كما ظهرت القنوات المتخصصة بالترفيه المجرد الخالي من كل غاية سوى التسلية والمتعة ، وتحولت برامج المسابقات من المنافسة الفكرية الهادفة إلى منافسات ضعيفة المستوى وعقيمة الجدوى ، تثير في المتلقي حلم الفوز والحصول على الثروة الكبيرة ، عبر دفعه نحو مزيد من الاتصالات الهاتفية . (ياسين ، 2006)

ب . ضعف الإنتاج الإعلامي عموما إذ لم يصاحب التزايد في عدد القنوات الفضائية تزايدا آخر على مستوى المحتوى والبرامج . فالمتابعة المتأنية لما تقدمه القنوات من مضامين ومراجعة الدراسات التي اهتمت بواقع الإعلام العربي تؤكد أن ما تم إنتاجه - على أهميته - لا يزال بعيدا عن تلبية احتياجات الجماهير العربية ، كما أنه لا يتناسب مع زيادة ساعات البث .

و إضافة لهذا فإن البرامج المنتجة عربيا تفتقر إلى التنوع ، بسبب تركيزها على مجالات معينة ، فهي في أغلبها إما إخبارية أو رياضية أو ترفيهية أو درامية في مقابل اهتمام أقل بالبرامج التعليمية والتربوية و البرامج التوثيقية الثقافية أو البرامج التنموية و برامج التنشئة . (الحديدي ، 2005) . ولا يرتبط ضعف

المحتوى بحجم الإنتاج فقط بل يرتبط أيضا بجودة هذا المحتوى الإعلامي . و الجودة هنا لا تتعلق فقط بالمواد الدرامية و الوثائقية وإنما تتعلق بكل >> العمليات الإنتاجية والأخبار وإدارة الحوار وانجاز الريبورتاجات وبرامج الأطفال والمنوعات << (التقرير السنوي ، 2012 / 2013) . ويعود ضعف الإنتاج الإعلامي العربي في بعض أسبابه أيضا إلى غياب سياسة إنتاجية تشاركية بين الدول العربية .

ج . الاستعانة بالبرامج المستوردة والمُدبلجة ، من أجل تجاوز مشكلة عدم قدرتها على إنتاج ما يكفي من مواد إعلامية ، وتنتمي أغلب المادة المستوردة إلى عدة مجالات أهمها الدراما السينمائية والتلفزيونية والبرامج الوثائقية والغنائية . (أبو أصعب ، 2006) كما أنها >> برامج معروضة عليها لم تقررها وليس لها خيار في إقرارها ولا تتوافق مع أولوياتها وقد تكون مجرد ملء الفراغ بغض النظر عن محتواها ، وقد تلعب المواد المستوردة الدور الفعال في وضع الخطة البرمجية وهذه الملاحظة تنطبق على الكثير من القنوات الفضائية العربية الراهنة << (مهنا ، 2003)

د . تقليد البرامج الأجنبية ، إلى جانب ما ذكر سابقا نشير إلى ظاهرة تقليد البرامج ، وتكمن مشكلة التقليد كون البرامج المقلدة قد أنتجت لجمهور غير الجمهور العربي ، قائمة على أبعاد ثقافية مختلفة و غياب بعض الموضوعات التي قد تكون محور اهتمام الجمهور العربي و جزءا مهما من انشغالاته . لكن و على الرغم من هذه المعطيات فإن الدول العربية عموما مستمرة في سياسة الاعتماد على الإنتاج الأجنبي و خاصة الأمريكي مدركة أو غير مدركة للنتائج السلبية التي قد تترتب عنها .

هـ . تكرار عرض المضامين من أجل التغلب على مشكلة نقص الإنتاج الإعلامي ، وملأ ساعات البث التي عرفت تزايدا مع مرور الوقت دون أن يرافق ذلك زيادة في ساعات إنتاج المحتوى الإعلامي .

رابعا : أسباب ضعف المحتوى الإعلامي

تكمن أسباب ضعف محتوى أغلب القنوات الفضائية العربية في :

1 . سيطرة المال السياسي :

حيث أن التحول الجزئي في مواقف الدول العربية من الملكية الخاصة لوسائل الإعلام لا يعني بالضرورة انتهاء محاولات التدخل أو السيطرة ، فسوق الإعلام لا تزال تابعة للدولة ، وإن أغلب المؤسسات الإعلامية العربية لا تزال غير قادرة على الاستمرار دون دعم مالي من مؤسسات أو هيئات أو أسر سياسية . (سعيد ، 2006)

2 . قلة الموارد المالية :

يختلف تمويل الفضائيات العربية حسب نوعها ، فالفضائيات العمومية يأتي تمويلها بالأساس من المال العمومي الذي تقدمه الدولة من الضرائب التي يتم اقتطاعها من قبلها بالإضافة للإشهار أو الرعاية sponsoring أما الفضائيات الخاصة فتعتمد على تمويل ذاتي يأتي من خلال مبالغ مالية ترصد للاستثمار ومن خلال الإشهار والتبني إلى جانب مداخيل الاتصالات التي توفره المسابقات التلفزيونية . ولذلك فإن العديد من القنوات التلفزيونية العربية تعاني من قلة الإمكانيات الفنية والمالية باستثناء تلك المملوكة للحكومات العربية الغنية ، ما يدفعها نحو عرض إنتاج أجنبي رخيص (الحديدي ، اللبان ، 2009) ، واستيراد مواد درامية ثم تقوم ببثها عدة مرات أو البحث عن توفير مصادر تمويل عبر الإعلانات أو بتشغيل برامجها مقابل رسوم شهرية (الجمال ، 2006) . و السؤال المهم الذي يفرض نفسه هل هذه الموارد قادرة على توفير ما تحتاجه الفضائيات الخاصة من أموال لتأمين الاستمرارية اللازمة ومجابهة المصاريف المختلفة من إنتاج وبث وتسويق؟

خاصة في ظل تكاثر عدد هذه القنوات واحتداد المنافسة بينها، إذ أن العديد من المعطيات الإحصائية تبين ضعف موارد الإشهار في المنطقة العربية بصفة عامة مقارنة ببقية دول العالم .

3 . تغليب المصالح التجارية :

تشكل المصالح التجارية والربح والثراء دافعا آخر لا يقل أهمية عن الدافع السياسي خلف الاستثمار في قطاع السمي البصري في المنطقة العربية وإنشاء القنوات الفضائية ، إن الاستثمار في قطاع السمي البصري بالمنطقة العربية لم يعد وليد البحث عن نفوذ سياسي أو تصفية حسابات سياسية فقط >> بل أصبح يشكل أيضا نشاطا تجاريا يعجز اقتصاد السوق عن التحكم في أطماعه و جنوحه >> (لعياضي ، 2013) وقد انعكس ذلك على سياسات صناعة المحتوى واختياره ، حيث يظهر أنها قائمة على تحقيق شرطين هما:

أ / إنتاج برامج بكلفة منخفضة وبأقل نسب مخاطرة ممكنة .

ب / تقديم برامج قادرة على استقطاب أكبر عدد من الجمهور .

و يضاف لهذه العوامل التجارية عوامل مرتبطة بالمعلنين ومصالحهم >> إذ يخاطب المعلنون الناس على أساس أنهم مستهلكون وليس مواطنين فحسب ، بينما تحتاج الجماهير إلى محتوى يخدمها كمواطنين لا كمستقبلين فحسب >> (صقر ، 2006) بعد أن أصبح الإعلان مكونا أساسيا وشرطا بنويا لعمل الوسيلة الإعلامية ، ولهذا نرى الشركات المعلننة تتدخل في تحديد البرامج التي تتلاءم مع ترويج سلعتها . أو تقوم بتمويلها شكل مباشر ، ولا يتوقف تأثير الإعلان على المجال التجاري فقط ، بل يؤثر أيضا على موضوعية و حيادية هذه القنوات وعلى حرية التعبير .

4 . عدم وضوح الأهداف :

الذي يعكسه ضعف الإنتاج الإعلامي ونوع البرامج التي تقدمها القنوات ، وبالتأكيد فإن ذلك سيحول دون إمكانية >>... وضع خطة شاملة في عديد من القنوات الفضائية تميز خطة قادرة على تحديد نسب متوازنة بمواد البرامج المختلفة حسب أولويات معروفة وعلى تأمين المواد الكافية لها >> (مهنا ، 2003) . لكن لماذا الأهداف غير واضحة ؟ لعل الإجابة تكمن في السرعة التي دخلت بها الدول العربية إلى البث الفضائي قبل أن تستعد له ، متأثرة بعدة عوامل أهمها التطور التقني الهائل حيث سمحت التكنولوجيا بإلغاء كل القيود والحواجز أمام الإعلام القادم من الغرب ، والإعلام الأجنبي ممثلا في قناة cnn التي قامت بتغطية حرب الخليج الثانية ، بالإضافة إلى تنافس الدول العربية على النفوذ الإعلامي وتوفير رؤوس أموال للاستثمار في هذا المجال وخاصة الرأسمال الخليجي .

وفي ظل عدم وضوح الرؤية وحالة الالتباس بين الغاية والمضمون ، فإن المحتوى الإعلامي العربي بقي ضعيفا مقارنة بالإنتاج الإعلامي العالمي من البرامج على اختلافها ، سواء على مستوى الشكل أو الأسلوب ، و لهذا نرى المؤسسات العربية تتجه نحو زيادة اعتمادها على البرامج المستوردة الجاهزة ، أو تقليد أو استنساخ تجارب الآخرين . (ياسين ، 2006) . لكن هل يمكن اعتبار كل ما يصدر عن الإعلام العربي يفتقر للهدف و الرؤية ؟ على أساس أن أغلب ما يقدمه لا ينسجم مع المجتمعات العربية وواقعها واحتياجاتها، سواء كان المحتوى المقدم مستوردا أو من إنتاجها .

لقد ساعدت بعض القنوات في مواجهة التأثير الثقافي والاجتماعي للفضائيات الأجنبية ، و تمكنت من تقديم خدمة إخبارية كسرت الهيمنة الغربية على مصادر المعلومات والأخبار ، و استطاعت إثارة النقاش حول القضايا الهامة و تقديم خطاب إيجابي للمشاهد العربي بالدفاع عن الحرية، وعن حق الناس في التعبير عن آرائهم المختلفة ، والدعوة إلى الحوار بأسلوب عصري متمدن ، يخلو من التشدد ومصادرة حق الآخرين في الرأي المختلف بفضل هامش الحرية والاستقلالية التي تتمتع بهما مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى . و على الرغم من الانتقادات الكثيرة التي طالت الفضائيات العربية فإنها بلا شك تظل قوة ضخمة قادرة على التأثير في عقول ووعي الناس ، ودفعهم للانخراط في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وجعلهم فاعلين ومؤثرين في صناعة الواقع .

5. السياسات الإعلامية المنتهجة :

من الطبيعي أن يكون لكل بلد عربي طابعه ونماذجه من الفضائيات ، ومن الطبيعي أيضا أن يكون لكل فضائية عربية سياسة معينة تميزها عن غيرها من القنوات ، لكن من غير المقبول أن يصل الاختلاف بينها أحيانا إلى حد التصادم ، في الوقت الذي يفترض فيه أن تجمعها اهتمامات وانشغالات الأمة الواحدة . فنجد تباينا واضحا بين القنوات في نقل الأخبار ومتابعة الأحداث . ، وبعضها قد يساهم في تكريس مزيد من الانقسام والتشظى بين مكونات المجتمعات العربية ، باللعب على الانتماءات الأيديولوجية والطائفية و العرقية التي تنمي مشاعر الكراهية وتزرع الأحقاد .

و مما يعيق الإنتاج الإعلامي العربي هو الاستمرار في انتهاج سياسات إعادة إنتاج السلطة السياسية ، و عندما يكون الإعلام محكوما بفكر الدولة >> تتعطل آليات التغيير الاجتماعي ويظل فعل الابتكار مهماشا << (الحيدري ، 2005) ، إلى جانب غياب سياسات التعاون بين الدول العربية في مجال الصناعات الإعلامية ، فللتعاون يساعد على تجاوز عوامل الضعف التي تعاني منها بعض الدول العربية كضعف الإمكانيات المادية ، والاستفادة من خبرات الدول التي تقدمت أشوطا في مجال الإنتاج الإعلامي مقارنة بغيرها من الدول .

6. غياب التعاون بين المؤسسة الإعلامية والمؤسسة العلمية :

تحتاج المؤسسات الإعلامية للتعاون مع المؤسسات العلمية لإنتاج المحتوى العلمي المفيد والجاد كما هو الحال في مجال إنتاج الأفلام الوثائقية العلمية ، لكن ذلك غائب تماما إما بسبب نظرة مديري البرامج في المحطات الفضائية العربية للبرامج الوثائقية والعلمية ، واعتبارها برامج غير قادرة على جذب المشاهدين و تحقيق الربحية المطلوبة ، أو بسبب بتجاهل المؤسسات الإعلامية لأهمية التعاون مع العلماء والباحثين و الأكاديميين ، أو عزوف هؤلاء عن التعاون معها و عدم إدراكهم أهمية التعاون في التعريف بإنتاجهم العلمي وتوصيله للجهات القادرة على الاستفادة منه والاستثمار فيه كالشركات والمؤسسات .

II. خاتمة:

نشأت القنوات الفضائية العربية على اختلاف أنواعها وتعدد أهدافها ، لثستجابة طبيعية لثورة الاتصال عبر الأقمار الصناعية من جهة ، و لمواجهة القنوات الفضائية الأجنبية التي دخلت بقوة إلى المنطقة العربية من جهة ثانية ، وكما هو معروف فإن المنطقة العربية كانت دائما تمثل مطمعا للدول الكبرى التي سارعت منذ سنوات ببث قنوات فضائية موجهة إلى المنطقة العربية .

مؤكنت الثورة الرقمية والتطور التقني الذي رافق إطلاق الأقمار الصناعية ، وضخ استثمارات ضخمة في صناعة الاتصال من خفض تكلفة البث وتوسيع مجالاته ، و من الزيادة الكبيرة في عدد القنوات الفضائية العربية وذلك خلال فترة قصيرة بعد البدايات الأولى لظهورها في فتر التسعينات ، و امتداد بثها إلى خارج المنطقة العربية ليصل إلى مختلف دول العالم .

لقد أصبحت القنوات الفضائية جزءا لا يستهان به ضمن الآلة الإعلامية العربية ، و قوة تأثيرية بالغة في الحياة اليومية للمواطن العربي. و في تكون وتشكيل تفكيره وسلوكه ، وفي تغيير طبيعة الوعي الشعبي وربما في تغيير الواقع السياسي .

وكان من أهم إفراتات الواقع الإعلامي الجديد هو تزايد دور الملكية الخاصة وتراجع الملكية العامة لوسائل الإعلام ، فأكبر عدد من الهيئات التي تبث قنوات تلفزيونية أو تعيد بثها يعود للقطاع الخاص مقارنة بهيئات القطاع العام ، وذلك لتوفر التكنولوجيا وتراجع الاحتكار العمومي لهذا القطاع بمعظم البلدان العربية ، و أيضا بسبب الدخول الكثيف للرأسمال العربي لإنشاء مؤسسات إعلامية كبرى ذات طابع احتكاري ربحي

و هذا يعني تقلص مكانة وأهمية القطاع العمومي ومنه إعلام الخدمة العامة الذي يفترض أن يتحمل مسؤولية المساهمة في تنمية المجتمع وفي التنمية الاقتصادية والثقافية والتربوية ، في إطار احتواء الحقوق والحريات . لكن بشرط إعادة النظر في مفهوم الإعلام العمومي ، ووضع مبادئ عامة تحدد وظيفته وتضمن التزامه بالواجبات .

مع التأكيد على ما يثيره طغيان القطاع الخاص من مخاوف حول خطر الأجندات السياسية و الأيديولوجية التي تحملها بعض القنوات الفضائية ، وسعيا لخدمة المصالح الخاصة على حساب المصلحة العامة ، وأن لا يعكس نمو القطاع الخاص تعددية حقيقية و حرية الرأي .

إن دخول الدول العربية إلى عصر العولمة و البث الفضائي دون أن تكون مهيأة لذلك ، قد أثر بشكل سلبي على صناعة المحتوى الإعلامي حيث ظهر عجزها عن تقديم إنتاج ثقافي عربي محلي . و بسبب ظهور القنوات الفضائية العربية متأخرة عن مثيلاتها الغربية ، اتجهت في غالبيتها نحو الاعتماد على ما تنتجه وسائل الإعلام الغربية ، دون الالتفات لما قد ينتج عن هذا الوضع من مخاطر على كيان الأمة و على هويتها العربية والإسلامية . و يضاف إلى ضعف الإنتاج الإعلامي و بعده عن تطلعات الجمهور العربي ، افتقارها للمصداقية و سطحية البرامج ، خاصة مع الانتشار الكبير للقنوات التجارية التي همها الربح في المقام الأول . و مما زاد من صعوبات وتحديات الإعلام العربي هو غياب قوانين تضبط وتنظيم البث الفضائي ، أو على أقل تقدير عدم تجديد القوانين والتشريعات الإعلامية الموجودة لتواكب التحولات الجديدة . فضلا عن إيجاد آليات لمراقبة المحتوى الإعلامي ، مع تعدد مستويات المشاهدة عبر المنصات الرقمية والشبكات الاجتماعية على الانترنت التي ساعدت على انتشار هذه المضامين و بسرعة فائقة .

إلى جانب غياب مواثيق الشرف الإعلامي كإحدى آليات ضبط الأداء المهني الإعلامي .، و مرجعية يستند إليها الإعلاميون والمهنيون لضبط ممارساتهم ، ولضمانة لحماية حق الجمهور في المعرفة .

أمام هذا الواقع الإعلامي وتعقيداته نتساءل هل سنشهد في المستقبل القريب جهدا عربيا نحو مراجعة منظومتها الإعلامية ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال مرهونة بمدى توفر الإرادة لتنظيم البث الفضائي و وضع الآليات المناسبة في عالم يتغير باستمرار ، ومدى استعداد القائمين على الإنتاج الإعلامي في القنوات الفضائية لمراجعة سياساتها الإعلامية وإستراتيجية إنتاج المحتوى ما يسمح لها بإعادة تموضعها من جديد في ظل

التحولات الدولية وتغير موازين القوى ، وما يرافقها من تحولات على مختلف الأصعدة تنبئ بنهاية الهيمنة الأحادية على العالم ، ومنها الهيمنة الإعلامية .

الإحالات والمراجع:

- حسن مظفر، عبد الرحمان عزي و آخرون، ثورة الصورة المشهد الإعلامي و فضاء الواقع ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2008) ، ص ص 95 ، 131 .
- راسم محمد الجمال ، الاتصال و الإعلام في العالم العربي في عصر العولمة ، الدار المصرية اللبنانية ط1 ، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2006) ، ص 137 ، 138.
- نهوند القادري عيسى ، قراءة في ثقافة الفضائيات العربية : الوقوف على تخوم التفكيك مركز دراسات الوحدة ، ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 2008) ، ص 58 .
- اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية ، البث الفضائي العربي التقرير السنوي 2015 ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، ص ص 8 ، 11 ، 13 ، 42 ، 52.
- <https://www.asbu.net/ar/publications/download/id/6/label/D2015> تم الاطلاع : 5 / 3 / 2017
- مركز المرأة العربية للتدريب كوثر ، المرأة العربية و الإعلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشوط ط1 ، (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 2008) ، ص 30 .
- نصر الدين لعباضي : في ضرورات ضبط البث التلفزيوني و شروطه ، مجلة لإذاعات العربية ، عدد 3 ، 2013 ، ص 15 .
- <https://www.asbu.net> تم الاطلاع في : 13 / 7 / 2016
- إبراهيم بعزيز ، واقع البث الفضائي العربي و سبل تنظيمه ، مجلة إذاعات الدول العربية ، العدد 3 ، 2013 ، ص ص 19 ، 20 ، 21 ، 22 .. <https://www.asbu.net> تم الاطلاع في : 13 / 7 / 2016
- مريم راشد خاطر ، تنظيمات البث الفضائي عالميا و الدور العربي المطلوب، ورقة عمل مقدمة في مؤتمر الأسرة و الإعلام العربي : نحو أوار جديدة في الإعلام الأسري 2 - 3 مايو 2010، قطر ، ص 5 .
- [https://www.arabccd.org/files/0000/122/Doha papers12.pdf](https://www.arabccd.org/files/0000/122/Doha%20papers12.pdf) تم الاطلاع في : 10 / 7 / 2022
- منى سعيد الحديدي ، شرف درويش اللبان، فنون الاتصال و الإعلام المتخصص ، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية، 2009) ، ص ص 224 ، 293 .
- صالح خليل أبو أصبع ، الاتصال و الإعلام في المجتمعات المعاصرة ، دار مجدلوي للنشر و التوزيع ط5 ، (الأردن : دار مجدلوي للنشر و التوزيع، 2006) ، ص ص 60 ، 250 .
- محمد نصر مهنا ، في النظرية العامة للمعرفة الإعلامية للفضائيات العربية و العولمة الإعلامية و المعلوماتية ، المكتبة الجامعية ، (مصر ، المكتبة الجامعية، 2003) ، ص ص 203 ، 374
- صباح ياسين ، الإعلام : النسق القيجي و هيمنة القوة ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) ، ص ص 42 ، 44 .
- اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية ، البث الفضائي العربي التقرير السنوي 2012 / 2013 ، اتحاد إذاعات الدول العربية ، ص 32 . <https://www.asbu.net> تم الاطلاع في : 29 / 2 / 2015 .
- عبد الله الحيدري ، الصناعات الإعلامية العربية : قراءة في وسائل الإنتاج، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة البحرين ، العدد 9 ، 2005 ، ص ص 29 ، 19 . <https://www.academia.edu/6630707/> تم الاطلاع في : 1 / 6 / 2022
- محمد السيد سعيد ، نعمي صقر ، الإعلام العربي في عصر المعلومات ، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية ط1 (أبوظبي : مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، 2006) ، ص ص 40 ، 73
- اتحاد إذاعات الدول العربية (2022) ، صرور التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي لسنة 2020 <https://www.asbu.net> تم الاطلاع في : 1 / 7 / 2022